



سفير سوريا فى لندن الدكتور سامى الخيمي

سفينة فينيقية تطوف افريقيا وترسو فى المتحف البريطانى

غسان ابراهيم*

يبنى شباب سوريون سفينة الأجداد الفينيقيين فى جزيرة أرواد السورية بتصميم مشابه لتلك الحقبة الزمنية. فالشكل والتمانة ستكون مماثلة لسفن الفينيقيين من خلال استخدام نفس تقنيات وطرق البناء مهتدين بما ورثه أهالى هذه الجزيرة.

وقد شهدت جزيرة أرواد بناء أقوى وأكبر الأساطيل التى أبحرت فى المتوسط وأول من طاف حول القارة الأفريقية لتفرض سيطرتها على حوض المتوسط ناشرة حضارتها وأسلوب حياتها بين الأمم التى استضافتها، ولتتعلم منهم بغرض تشييد أكبر الامبراطويات فى تلك الفترة التى تعود إلى 1200 قبل الميلاد حيث استطاع الفينيقيون الحفاظ على أمجادهم لمدة تجاوزت ألف سنة.

ويقدر المؤرخون المدة الزمنية التى استغرقتها الرحلة الأولى التى طافت حول القارة الأفريقية حوالى ثلاث سنوات من المخاطر واكتشاف المجاهيل باجتياز رأس الرجاء الصالح. أما اليوم فالسفينة التى تبنيها سواعد أحفاد الفينيقيين "تحت إشراف بناء السفن السورى خالد حمود" لا تهدف إلى اكتشاف المجهول بل إحياء تلك الفترة وتسليط الضوء على ما حققه الأجداد وما سطره من انجازات للحضارة الانسانية.

ولضمان تشابه هذه السفينة مع مثيلاتها فى تلك الحقبة، يعتمد البناؤون لهذه السفينة على قراءة تاريخ الفينيقين والاطلاع على بقايا تلك السفن وما وجدته باحثو التاريخ من الآثار بالاضافة إلى خبرة أبناء جزيرة أرواد.

ومن المتوقع الانتهاء من بناء هذه السفينة خلال عدة أسابيع حيث من المفترض أن تبحر فى الشهر الثامن من هذا العام قاطعة حوالى 17000 ميل خلال مدة سنة كاملة.

ويقدر مقاس السفينة بحوالى 70 قدما أى أن طولها سيبلغ 21 مترا وعرضها 5.75 مترا وارتفاعها من الوسط 2.5 مترا، وتستخدم فى صناعتها أخشاب من الصنوبر والحوار والأسافين من خشب الزيتون.

وستحمل السفينة على متنها حوالي 20 بحارا من عدة دول عربية وأجنبية، وستبدأ الرحلة من جزيرة أرواد مبحرة عبر قناة السويس في البحر الأحمر بشكل محاذاً للشواطئ المصرية والسودانية واليمنية و عدة دول افريقية مثل كينيا وتنزانيا وجنوب افريقيا وغانا وموريتانيا والمغرب ومن ثم العودة الى المتوسط بشكل محاذاً للشواطئ الجزائرية والتونسية والليبية لتعود وتستقر في ميناء جزيرة أرواد في منتصف العام المقبل قبل بدء الرحلة الثانية وتتوجه نحو بريطانيا لتعرض ضمن مهرجان فينيقي يستضيفه المتحف الوطني البريطاني لمدة تمتد من 2009 إلى 2010، واختار منظمو المهرجان هذه السفينة لتكون أهم الأعمال المعروضة ورمزا لهذه المناسبة التي ستفتح أبوابها أمام زوار المتحف الذين سيتوافدون من أوروبا والعديد من الدول العربية.

وتدعم هذه الرحلة الجمعية الجغرافية البريطانية وخبراء المتحف البريطاني والعديد من الجغرافيين والمؤرخين وعلماء الآثار حول العالم.

وقد أقامت السفارة السورية في لندن حفل استقبال أعلن خلاله الدكتور سامي الخيمي سفير الجمهورية العربية السورية عن هذا المشروع الفينيقي بحضور سفراء عدد من الدول العربية والأفريقية بالإضافة إلى أساتذة جامعات وخبراء في علم الآثار وبحارة ومهتمين.

وأكد السفير السوري أهمية هذا المشروع وبعده الثقافي والحضاري الذي سيسلط الضوء على ما قدمه أجدادنا للحضارات التي أخذت من معين هذه المعرفة والانجازات وطورت فن بناء السفن وعلم الإبحار لاكتشاف المجهول بروح المغامرة ومواجهة المخاطر.

واعتبر السفير السوري هذه الرحلة ملحمة ثقافية ربطت سورية الفينيقية "لبنان وفلسطين وسورية" بأفريقيا وأوروبا وستستحضر هذه التجربة تاريخاً عريقاً يستحق ان يسلط عليه الضوء من خلال هذا المشروع, حيث سيتابعه العالم ليطلع على روح المغامرة والاكتشاف الذي تحلى به الفينيقيون.

وأكد مصدر إعلامي في السفارة السورية أن هذا المشروع يتم بالتعاون والتنسيق مع الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية 2008.

وقال الدكتور فيليب بيال المسؤول عن المشروع الفينيقي لهذه السفينة "ستحیی هذه الرحلة تاريخاً مضى عليه حوالي ثلاثة آلاف سنة، ونظراً لما ستحملة هذه السفينة من تجارب سيتم استضافة باحث مهتم بهذا الشأن ليقوم بتدوين مراحل الرحلة والخبرات التي يمكن جنيها من هذه الرحلة".

وأضاف المسؤول: "من خلال الاعتماد على ما سيسجله لنا هذا الباحث سنتمكن من استخدام هذه المعلومات في تدريس المهتمين بتاريخ سفن الفينيقيين وعلم الإبحار في تلك الفترة".

وأكد فيليب بيال أن الابواب لا تزال مفتوحة أمام المترشحين الراغبين في الانضمام إلى طاقم الإبحار وستعطي الأولوية للمترشحين من الشرق الأوسط وأفريقيا، ولا تزال المناقشات مفتوحة حول إمكانية إعداد فيلم وثائقي حول الرحلة الفينيقية.

وقال فيليب بيال: "إن أحد التحديات التي ستواجهنا في هذه الرحلة أننا سنحاول أن نجمع بين سفينة مبنية وفق الطراز الفينيقي مع استخدام تجهيزات حديثة من هذه الفترة الزمينة لضمان أمن الطاقم والسفينة، فالبحارة الفينيقيون اشتهروا بمهاراتهم وخبراتهم في تحديد الاتجاه ورسم طرقهم البحرية بعناية ودقة، بينما هذه الرحلة ستعتمد على أحدث تقنيات الملاحة وتحديد الاتجاه وخط الرحلة بالاعتماد على تجهيزات مقدمة من شركة "Raymarine".

وأضاف فيليب بيال: "وفي إطار الترويج لهذه الرحلة اعتمدنا تصميماً يوحى بهذه المهمة ونشرناه في مطبوعاتنا وموقعنا على الانترنت لنجعلها متاحة لكل المهتمين بالإضافة للفت انتباه الجمهور الغربي إلى هذه الرحلة".

واعتبرت كلير ليفيزلي مديرة شركة "Circle" المسؤولة عن الترويج لهذا المشروع أن طاقم هذا المشروع يمتلكون مهارات عالية في الإعداد لهذه المهمة الثقافية بالإضافة إلى بعدها التاريخية والمعرفي.

وقال مارتن داي مدير شركة "Global Freight Solutions": "يسرني أن نقدم كل الدعم لهذا المشروع بتزويد طاقم الإبحار ببرامج تقنية لرسم خطوط الرحلة وتزويدهم بنظام إبحار يضمن لهم جدولة الرحلة زمنياً بشكل يسمح

للمناطق المرور بمراحل الرحلة وفق التوقيت المحدد فيحول دون تأخر هذه الرحلة عن وجهتها النهائية".

وعلق تشارلز رامزير مدير شركة "Southampton Calor": "سندعم هذه الرحلة بتزويد طاقمها باحتياجاتهم من تجهيزات الطاقة والخدمات ليكون لنا دور في انجاح هذه المهمة ذات الابعاد المتعددة".

وقال مارك هاريمان مدير شركة "Viking": "كى نضمن سلامة طاقم الرحلة سنقدم لهم كل متطلبات الأمن والسلامة وتجهيزات وملابس الابحار والنجاة فى حال الطوارئ".

وعن البعد الثقافى والتعليمى لهذه الرحلة، أكد جونثن تاب خبير الآثار فى المتحف البريطانى أن هذه الرحلة ستخلق اهتماماً دولياً بتاريخ الفينيقيين، وستزيد من استيعاب المجتمعات الاوروبية بهذا الاسهام الحضاري.

ولقد استطاع الفينيقيون أن يبدعوا صناعة المعادن والحلى والصياغة ووضعوا الخطوط الأولية لنظريات علم الذرة بالإضافة إلى صناعة السفن. فكانت حضارتهم قائمة على التوسع السلمى والتبادلات التجارية من خلال الابحار والملاحة حيث كانوا أول من أبحر فى مجاهيل البحار اذ كانت الملاحة قبل ذلك حكراً على الفراعنة الذين اقتصروا على الملاحة النهريّة فقط.

ومن أهم اسهاماتهم للحضارة الانسانية هو اختراع أبجديتنا الحديثة المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً، حيث أُعتبر هذا الاختراع الأكثر غرابة من العقل الالكتروني، وبنوا المدن الفخمة والمعابد وعبدوا الشمس والأوثنة الكونية المتجسدة فى عشتار.

وكانت لهم انجازات فى علم الفلك فعرفت النجمة القطبية فى العصور القديمة باسم النجمة الفينيقية، كما اشتهروا برُقّي نسجهم من خيوط القطن والصوف فتهافت نبلاء الشرق على أقمشتهم الراقية.

احتكر الفينيقيون الفلزات الضرورية لصنع النحاس، أما القصدير فقد استخرجوه من البحار الباردة، كما سعوا إلى تأمين الحديد من أسبانيا جنوبى غربى سردينيا.

وقد نسب الإغريق اختراع الأرجوان إلى الفينيقيين الذين بحثوا عن أصداف الموريكس من أجل إقامة المصابغ للون الأرجوان.

وشهدت صناعة الملابس نهضة حقيقية، حيث لبس الكهان وخدام القداس أرواباً طويلة فى المعابد الفينيقية، وتعتبر القبعة العالية أول من نشرها الفينيقيون حيث يوجد مثله الآن لدى البطاركة والبابا.

وابتكر الفينيقيون صناعة الحفر تحت البحر بالقرب من الشواطئ حيث استخرجوا المياه العذبة من تحت سطح البحر بواسطة أجراس برونز مبروطة بأنابيب من النحاس اللين المغلف والمعزول بالزفت .

وكان المؤرخون القدامى يسمونهم بالكنعانيين، أما الإغريق فسموهم الفينيقيين وتعنى بلغتهم "الناس الحمر".

ونظراً لكون أراضى الفينيقيين "فى أول نشأتهم" غير صالحة للزراعة نتيجة لتضاريسها الجبلية، وجه الفينيقيون وجههم نحو البحر، غير أن المياه التى يعيشون على سواحلها لم تكن هادئة، وكان عليهم أن يعتمدوا على قواربهم البدائية للخروج فى رحلات بحرية تجريبية واستكشافية فى أعالي البحار.

هذه الظروف دفعتهم إلى تطوير وتحسين قواربهم ليصبحوا بمرور الوقت من أكثر البحارة خبرة فى تلك الأيام. وقد وفر خشب الأرز وخشب الزيتون للفينيقيين الأخشاب المناسبة لبناء قوارب بحرية صلبة كما أن وفرته فى المنطقة أيضاً جعلته مادة للتصدير للبلاد الأخرى.

وقد أقاموا الموانئ فى مدنهم الساحلية لينطلقوا بسفنهم إلى كل مكان يجدون فيه تجارة مربحة.

لقد استطاعوا أن يحولوا هذه المدن إلى مراكز تجارية للعالم كله تأتىها البضائع من كل أرجانه ومنها تشحن البضائع الخام والمصنعة. وهمنوا على التجارة فى قبرص وكريت وبقية جزر بحر إيجه إضافة لموانئ البحر الأسود وسردينيا ومرسيليا وكورنول وقرطاجة.

كما وضعوا حاميات عسكرية لهم فى مالطا وصقلية وكورسيكا. وكانت إفريقيا مصدر الذهب وريش النعام فيما يشترتون

من الهند العاج والتوابل والمنتجات القطنية. وكانت الجزيرة العربية مصدر البخور والتوابل الغالية والاعطور. كما كانوا يشتررون من سوريا أفضل أنواع الخمر التي يعرفها العالم. أما اليونان فكانت مصدر تجارتهم بالأواني المعدنية الثمينة والمزينة بالزجاج التي كانوا يستوردونها منها.

كما أسسوا أكبر شبكة تجارية عرفتها الانسانية فى تلك الحقبة ليقوموا بدور الوسيط الذى يوفر لكل منطقة احتياجاتها مما لا تنتجها بغرض تحقيق ربح تجارى وفرض سيطرتها على أكبر قدر ممكن من المدن بطريقة تجارية سلمية بعيدة عن القوة والاحتلال. وتمتع جزيرة أرواد بموقع استراتيجى ممتاز وبحجم صغير، وهى ذات مرفأ مزدوج. وكان مصدر غناها وقوتها قائماً على استفادتها من غابات الجبال القريبة وغنى المنطقة التابعة لها، وهذا ما جعلها تملك منذ القدم وحتى العهد الرومانى أسطولاً هاماً قوياً لذلك كانت السفينة الرمز الأكثر رواجاً يصب على نقودها فالمركب أمنت لهذه الجزيرة حرية الملاحة وسمحت لتجارها بالربح وأدت إلى ازدهارها..

وتدل التماثيل التى نحتت فى مقدمة السفن الحربية وكذلك على العملة الفضية التى تعود إلى ما قبل فترة الاسكندر ان قوة اقتصاد تلك الامبراطوية نابعة من سفنها وابحار شعبها فى عرض البحار وان سفنها الحربية كانت لحماية تجارتها لا لفرض قوتها العسكرية على الامم الاخرى. لذلك تشابهت التماثيل المنحوتة على السفن والعملة المستخدمة فى تلك الفترة حيث كانت تلك التماثيل مأخوذة بصورة جانبية لرؤوس رجال ملتحين بعيون بارزة.

* مدير تحرير "العرب الأسبوعى"

ghassan.ibrahim@yahoo.co.uk